الدكتور كلوت بك

وتاريخ المدرسة الطبية

لم نكد نكتب ترجمة كبير اطباء مصر الدكتور سالم باشا سالم حتى جُدّد ذكر مؤسس المدرسة الطبيَّة فيها وهو الدكتور كلوت بك وذلك بالتمثال الذي اعدهُ ابنهُ الى مدرسة قصر العيني ونُصب في ساحتها في السادس من هذا الشهر باحتفال حافل رأسهُ صاحب الدولة رياض باشا ناظر المعارف العموميَّة بالنيابة عن الحكومة المصريَّة وحضرهُ خلق كثير من الاطباء والادباء. وقد رأينا ان نذكر هنا طرفًا من ترجمة هذا الرجل الفاضل وتاريخ المدرسة الطبيَّة المصرية ملخصين اكثر ذلك عما كتبهُ جناب الدكتور غرانت بك في جريدة الشفاء الطبيَّة

ولد المترجم بهِ في مدينة غرينوبل ببلاد فرنسا من عائلة فقيرة جدًّا في اواخر سنة ١٨٠٣ ويتم من ابيهِ وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ ولم يتسنَّ لهُ ان يتعلم سوى المبادىء البسيطة لكنهُ اقام مدة مع جرَّاح كان يعالج اباهُ قبل موتهِ فرغب في صناعة الجراحة وصار يعمل بعض العمليَّات الصغيرة ويطالع الكتب الطبيَّة. ثم قصد المستشفى الطبي في مرسيليا ليدرس فيهِ العلوم الطبيَّة ولقي من المشاق في هذا السبيل ما يضعف العزائم ولاسيما لما كان فيهِ من الفقر المدقع لكنهُ صبر على مضض البلوى وثبت ثبوت الابطال فنال ما تمنى وعين طبيبًا صحيًّا ثم جرَّاحًا في ذلك المستشفى. وقصد مدرسة مونبليه الطبيَّة سنة ١٨٢٠ وامتحن فيها لاجل الدبلوما الدكتوريَّة فأعجب الممتحنون بمهارتهِ. ولما عاد الى مرسيليا عُين طبيبًا ثانيًا في مستشفى الرحمة وجرَّاحًا مستشارًا في مستشفى الايتام

وكان علم الطب قد أُهمل في القطر المصري قبل ايام العزيز محمَّد علي باشا بسنين كثيرة وكان الناس متروكين الى رحمة الحلاقين والمنجمين اولئك يتزفون دماءهم بالفصادة والحجامة وهؤلاء يوهمون عليهم بخزعبلاتهم المختلقة ورأى العزيز انهُ لا يستطيع ارغام الدجالين على ترك صناعتهم ما دام جمهور الشعب معتقدًا بهم ومعتمدًا عليهم ولا يستطيع ان يقطع دابرهم كما قطع دابر المماليك فعزم على نشر العلوم والمعارف في البلاد لان الظلمة تزول بانتشار النور فانشأ فيها بيوت العلم المختلفة وفي ايامهِ نهضت مصر من حضيض الجهل والذل الى اوج العلم والمجد

ولما نظم امر جنودهِ اهتمَّ بأمر صحتهم فاستحضر لهم الاطباء من اوربا واقامهم لخدمتهم.

وسنة ١٨٢٥ احضر الدكتور كلوت من فرنسا وجعلهُ رئيس اطباء الجيش المصري فلم يكد يصل الى مصر حتى وجد الخلل في الادارة الطبيَّة لانهُ لم يكن فيها قوانين للاطباء تعرفهم واجباتهم وحدودهم فأشار على بوزاري طبيب محمَّد علي باشا باتباع القانون الفرنسوي في امر الاطباء وبانشاء مجلس للصحة يكون هو (بوزاري) رئيساً لهُ. وكان بوزاري من الرجال الكرماء المخلصين لاسيادهم ولكنهُ لم يخلُ من الانانيَّة ومحبة الذات فعرض الامر على مسامع العزيز وبعد قليل أُنشيءَ مجلس الصحة وكان فيهِ ثلاثة اعضاء يرئسهم بوزاري واما كلوت فلم يكن منهم . واجتمع هذا المجلس اجتماعهُ الاول في الخانقه (على سبعة اميال من مصر الى الشمال الشرقي منها) وذلك في ٣٠ مارس سنة ١٨٢٥ واعطاهُ العزيز السلطة المطلقة في امر الاطباء فكتب الى كلوت يعينهُ في وظيفتهِ وبعد اشهر قليلة عين كلوت ولويجي ألسندري (صيدلاني صيدليَّة القلعة) عضوين فيهِ ولم يلبث كلوت ان دخل هذا المجلس حتى أدخل اليهِ النظامات الصحيَّة الفرنسويَّة واستعان بهِ على اهل المفاسد الذين وقفوا لهُ بالمرصاد . ثم وجَّه اهتمامهُ الى تنظيم احوال الجيش الصحيَّة في السلم والحرب فنظمها بحسب النظامات الفرنسويَّة. وكان اطباء الجيش يلبسون الملابس الرسمية كضباطهِ وتُوجه اليهم النياشين والقاب الشرف مثلهم .

وكان مقام الجنود في الخانقه فعزم كلوت على انشاء مستشفى لهم ووجد بالقرب من ذلك المكان بناء رحبًا كان تكنة للفرسان فاستخدمهُ لهذه الغاية ووضع فيهِ مرضى الجيش فقط في اول الامر ثم جعلهُ عموميًا لجميع المرضى فتكللت اعمالهُ بالنجاح . وحينئذٍ خطر لهُ ان ينشيءَ مدرسة طبية بجانب هذا المستشفى رجاء ان يخرج من هذه المدرسة ضباط صحة للجيش من اهل الوطن وعرض الامر على مسامع العزيز فاستصوبهُ وامرهُ ان يشرع فيهِ فانشئت المدرسة بابي زعبل

ورأى كلوت صعوبات كثيرة تعترضهُ ولكنهُ كان رجلاً حازمًا اذا رأى الصعوبة قاومها بكل عزمهِ حتى يتغلب عليها . والصعوبة الاولى التي اعترضتهُ كانت مسئلة اللغة لان الاساتذة الذين عزم على استخدامهم لا يعرفون العربية والتلامذة لا يعرفون الفرنسويَّة ولا الايطالية وحسب انهُ يضيع الوقت بتعليمهم لغة من هاتين اللغتين استعدادًا لدرس الطب بها فلم يرَ لهُ بدًّا من اقامة المترجمين بين الاساتذة والتلامذة . والصعوبة الثانية هي ان اهالي مصر كانوا يعتقدون ان تشريح اجساد الموتى ممنوع دينيًا فتباحث مع مشايخ الدين في هذه المسألة ولحسن الاتفاق اقنعهم بأن درس التشريح وتشريح الموتى غايتهما من

احمد الغايات ألا وهي حفظ الاحياء ولا يمكن لاحد ان يبرع في صناعة الطب ما لم يدرس علم التشريح على هذه الصورة

وكان عزيز مصر عارفاً بحقائق الامور ومترفعاً عن التعصبات الدينية ولكنهُ لم يشأ ان يأخذ الامور بالعنف فلم يرخص لكلوت بتشريح الموتى ترخيصاً صريحاً ولكنهُ وعدهُ بأن لا يعترضهُ احد اذا سار بالحكمة

والتلامذة انفسهم تفرواي اول الامر من تشريح الموتى ولكنهم القوهُ بعد حين وصاروا يشرحون عن طيب نفس ورغبة في العلم. ولولا كلوت ما امكن للوطنيين ان يقدموا من انفسهم على تشريح الموتى لان مدارس الخلفاء الاولين لم تفعل ذلك مع ما بلغتهُ من الشهرة والحريَّة في البحث والتعليم ولذلك فتلامذة المدرسة الطبيَّة المصريَّة يتمتعون الان بما حُرم منهُ تلامذة المدارس الطبيَّة في ايام الخلفاء الاولين فينتظر منهم ان يفوقوا اولئك

ومما يذكر بالاسف والاستغراب ان احد التلامذة دنا من الدكتور كلوت وهو في فرقة التشريح وطعنهُ بخنجر في رأسهِ فلم يصبهُ فطعنهُ ثانية في جوار بطنهِ فلم يصبهُ ايضاً بمكروه وللحال بادر بقية التلامذة الى هذا التلميذ وحالوا بينهُ وبين استاذهِ

ولما تغلَّب كلوت على كل المصاعب عُين مديراً للمدرسة الطبية وذلك في غرة سنة ١٨٢٧ بعد ان نسجت عناكب النسيان على المدارس الطبية العربية مدة خمس مئة عام. فاختار لها الاساتذة من الفرنسويين والايطاليين وهذه اسماؤهم ووظائفهم في المدرسة

غايتاني	مدرس التشريح العام والوصفي والباثولوجي والفسيولوجيا
برنار	مدرس الميجين الخاص والعام والعسكري والطب الشرعي
دفينيو	مدرس الباثولوجيا والكلينيك الباطنيين
كلوت	مدرس الباثولوجيا والكلينيك الجراحيين والعميات وفن الولادة
برثلمي	مدرس المواد الطبيَّة والثرابيوتيا وعلم وصف الادوية وعلم السموم
سلزيا	مدرس الكيميا والطبيعيات
تغاري	مدرس النبات ومدير البستان النباتي
لسبرنزا	محضر دروس التشريح والروامز التشريحيَّة والباثولوجيَّة

وسلَّم المستشفى لهؤلاء المدرسين وتلامذتهم لكي يطببوا المرضى فيهِ ويدرسوا سير الامراض وطرق علاجها

واختار انفس الكتب المستعملة حينئذٍ في اوربا لتدريس صناعة الطب وكان

التلامذة مقسومين الى عشر فرق وجعل التلميذ الانجب في كل فرقة عريفاً لها وسماه وهي الطريقة التي اختارها للتدريس

(١) يترجم الدرس الى العربية في حضرة المدرّس وهو يشرح كل الامور بواسطة للترجمان

(٢) يُقرأ الدرس بالعربية على مسمع التلامذة وهم يكتبون في دفاترهم ما يذكرهم به

(٣) يشرح المدرّس للتلامذة كل ما يعسر عليهم فهمهُ . وكان مباحاً لعريف الفرقة ان يطلب زيادة الإيضاح في كل فروع الدرس

(٤) يطلب من العريف ان يراجع الدرس لتلامذة فرقته

(٥) يمتحن التلامذة كل شهر في الدروس التي درسوها ذلك الشهر وحينئذٍ يختار ابرع التلامذة ويجعلون عرفاء لفرقهم . ولهذا النظام مزيتان الأولى حث التلامذة على العمل والثانية القاء المنافسة الشريفة بينهم حتى يطلب كل منهم ان يفوق اقرانهُ

واضيف الى المدرسة الطبية مدرسة اخرى لتعليم اللغة الفرنسوية واُجبر طلبة الطب كلهم على درس هذه اللغة حتى اذا اكملوا دروسهم الطبية وخرجوا من المدرسة استطاعوا ان يطالعوا كتب الطب الفرنسوية ويعرفوا كل ما يجدّ فيهِ . الّا ان هذه المدرسة الغيت بعد حين

وسنة ١٨٣٢ اختار الدكتور كلوت اثني عشر تلميذاً من انجب التلامذة وسار بهم الى باريس وقدّمهم الى الجمعية العلمية الطبية فاختيرت لجنة لامتحانهم فمكث الشهر اطبائها برئاسة الدكتور اورفلا وجرى ذلك باحتفال عظيم حضرهُ طبيب الملك والحكومة وجمهور غفير من الامراء والاطباء والعلماء وحُصرت المسائل في المواد الآتية وهي (١) الكلام على المخ والاذن الباطنة والعين وخصوصاً البلورية والكتركتا والعملية اللازمة لها . (٢) الكلام على المتحمة وامراضها . (٣) الكلام على القناة الاربية والفتق الاربي والعملية اللازمة لهُ . (٤) الكلام على العجان وعنق المثانة واسباب الحصاة واعراضها وعمليتها على طريقة كلوت بك . (٥) شرح المفاصل الكتفية العضدية وخلع العضد وردهُ (٦) الكلام على جروح الاسلحة النارية التي تستدعي عملية البتر وشرح هذه العملية . (٧) الكلام على تشريح الكبد وشرح تاريخ الالتهاب الكبدي

ويظهر من ذلك ان الدكتور كلوت بك كان يهتمّ بنوع خاص بالامراض والآفات التي تكثر في القطر المصري ويخرّج تلامذتهُ فيها حتى يزيد نفعهم لوطنهم . ويظهر من

اجوبتهم انهم كانوا قد فهموا حقيقة ما تعلموهُ وقرنوا العلم بالعمل وان لجنة الامتحان سرَّت بما اجابوا بهِ ولذلك قام كاتبها وهنأهم بفوزهم وامَّل ان يعود بهم عصر ابن سينا والرازي وابي القاسم

وسنة ١٨٣٧ نقلت المدرسة الطبيَّة من ابي زعبل الى القاهرة وفتحت مدرسة لتعليم القابلات فن الولادة وأُنشئت مستشفيات كثيرة في مدن القطر واستعمل تطعيم الجدري فقلَّ انتشارهُ في القطر المصري وكان يفتك قبل ذلك بستين الفاً من الاطفال كل سنة. ولما انتشر الطاعون سنة ١٨٣٠ كان يموت بهِ في القاهرة وحدها الفا نفس كل يوم فقام هو وتلامذتهُ لمقاومتهِ ومعالجة المصابين بهِ الى ان تقشعت غيومهُ من سماء القطر فسرَّ العزيز من اعمالهِ وانعم عليهِ برتبة بك ولم تكن تعطى لمثلهِ . ثم فشا الطاعون سنة ١٨٣٥ فنهض هو وثلاثة من الاطباء لمقاومتهِ وكان يعتقد انهُ غير معدٍ وطعَّم نفسهُ بدم الخرَّاج امام تلامذتهِ اثباتاً لقولهِ وتشجيعاً لهم ومكث على هذه الحالة باذلاً جهدهُ في معالجة المرضى ستة اشهر فبعث العزيز يشكرهُ على ذلك وانعم عليهِ برتبة جنرال

واتى بلاد الشام لما دخلها الشهير ابرهيم باشا وزار دمشق وبيروت وصيدا وعكاء وحيفا وجبل الكرمل وذهب الى الناصرة لما كان الطاعون فيها وزار نابلس وبيت المقدس وغزة وطبَّب المرضى وابقى لهُ في الشام ذكرًا جميلاً

ولما تولى المرحوم عباس باشا اقفلت مدرسة الطب وعاد الدكتور كلوت بك الى فرنسا وبقي فيها الى ان تولى المرحوم سعيد باشا فعاد الى مصر ليعيد المدرسة الطبيَّة الى ما كانت عليهِ من الانتظام في ايام جدهِ المرحوم محمَّد علي باشا ونجح في ذلك النجاح التام وبقي في القطر المصري الى سنة ١٨٦٠ وحينئذٍ عاد الى مرسيليا وطنهِ واقام فيها الى ان وافتهُ المنيَّة في الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٨٦٨ . وكان لين العريكة كثير التدين مكبًّا على العمل متفانياً في نشر العلوم الطبيَّة

حاشية. مما يذكر مع الشكر لجناب الدكتور شميل صاحب الشفاء انهُ اول من اشار بنصب تمثال للمرحوم كلوت بك في صحن مدرسة قصر العيني فقد قال في الصفحة ١٨٣ من الجزء الخامس من الشفا الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٨ ما نصهُ ((جرت العادة ان كل رجل اتى بعمل جليل ينصبون لهُ تمثالاً احياء لذكرهِ وحثاً للاحياء على الاقتداء بهِ . وفضل كلوت في تاسيس المدرسة الطبية المصرية ظاهر . فالامل اقامة تمثال لهُ ينصب في صحن المدرسة و بذلك نكون قد وفينا الرجل حقهُ في مأتو جزاء صادق خدمتهِ لنا في حياتهِ))